

الزواج بالأجنبيات

وأضراره بالأسرة المصرية

أخذت الحكومات في السنوات الأخيرة تحرم على موظفيها الذين يعملون في السفارات والتمثيليات أو حتى في مصالح ومكاتب الوزارات الخارجية أن يتزوجوا من أجنبيات. ومن كان منهم قد سبق له التزوج من أجنبية أحيل إلى مصالح أخرى لاتصل بوزارة الخارجية. وقد كان لحكومتنا نصيب في هذا الاتجاه الجديد.

والسبب الواضح لهذا الاتجاه أن التوتر السياسي الذي فشا بين الدول في السنوات الأخيرة قد أحدث ألوانا من التوجس والشبهة. ففكرت كل دولة في النتائج المربكة التي يمكن أن تنجم من مولف قد تزوج بإحدى السيدات التي تنتمي إلى دولة أخرى ليست على صداقة متينة مع الدولة التي ينتسب هو إليها. فإن الزوجة محور المجتمع وهي التي تختلط بالعائلات أكثر من زوجها فإذا كان الزوج قد تحدث إليها في بعض الشؤون التي تتصل بأعمال الخارجية أو السفارية فإن حديثها إلى ضيوفها قد يفضي أسراراً كانت تحرص الدولة على كتمانها. بل ليس هناك ما يمنع من أن يكون ولاء الزوجة لوطنها السابق أوثق وأعمق في نفسها من ولائها لوطن الذي ينتسب إليه الزوج. وقد تعتمد لذلك إيصال هذه الأسرار إلى دولتها.

ومع أن هذه الحوادث قليلة فإنها لخطورتها يجب أن يحسب لها حساب عند كل دولة. ومن هنا هذه القوانين الجديدة التي فرضت على كثير من موظفي وزارة الخارجية ألا يتزوجوا بأجنبيات في المستقبل وأن يحال المتزوجون منهم بأجنبيات إلى أعمال أخرى في الوزارات الأخرى.

وهذا بعض مايجب من الزواج بأجنبيات. ولكن هناك أضرارا أخرى تتصل بالبيت والمجتمع والسعادة الزوجية ونشأة الأبناء وتربيتهم ووطنيتهم وعقائدهم. وكل هذه الأمور يجب اعتبارها عند التفكير في الزواج بأجنبية. وفيها بل في بعضها ما يكف عن الإقدام على هذه المغامرة.

والغالب أن هذا الزواج يتم في بعض العواصم الأوروبية حيث يجد الطالب المصري ما يفره به. ومعظم العقود الزوجية التي ربطت بين مصري وأجنبية انما تمت في مثل هذه الظروف أي حين يقصد شياننا إلى عاصمة أوروبية أو أمريكية للحصول. ثم تلقى بهم المصادفات في أسرة حيث يستأجرون إحدى الغرف بمنزلها. ثم تحدث ألفة ما بين الشاب وأحدى فتيات هذه الأسرة

تنتهى بالزواج. وبدهى أنه كما أننا نحن في مصر نكره الزواج بالأجنبيات أو الأجانب ولا نحب أن نترك 'بننا' وطنها لكي تعيش في أرجنتينا أو الصين كذلك تحس الأسرة الأجنبية كراهة لمثل هذا الزواج لابنتها. وهي تمارض فيه كل المعارضة ولكنها تسلم في النهاية لميزات قد تراها في الزوج إما لحرفته وأما لماله.

والغالب لذلك أيضا أن الشاب المصري الذي يتزوج أجنبية قلما يوفى فتاة من طبقته لأن مثل هذه الفتاة تجد من أبناء وطنها من يزوجه من هذه الطبقة. وهي لا ترضى بأن تترك وطنها وتحمل مساوئ القربة في وطن ناء إلا إذا كان الزوج يعلو عليها في الطبقة ويمتاز كما قلنا بالمال أو الحرفة. ومن هنا ينشأ التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين الزوجين. فإن الشاب المصري على الدوام تقريبا يختار فتاة دونه. ويتحمل ما ينشأ من هذا التفاوت من صعوبات.

ثم هو عند عودته إلى مصر يجد صعوبات أخرى قد لا يكون أقلها أن يشعر أنه لا يسعد زوجته بالاقامة في بيئة مصرية لم تتعود عاداتها ولم تألف عرفها. فإن هذه الزوجة التي نشأت على أسلوب معين في المعيشة عند أهلها تجد اختلافا كبيرا بين ما ألفت من قديم وبين ما تجد من جديد. ومن البعيد جدا أن تبديل شخصيتها وأن تنزل على الأقيسة الجديدة. ولذلك يشق عليها أن تعيش بين أهل زوجها الذين يجد أفرادهم يحقرونها لأنها تأكل على طريقة معينة أو تتحدث إلى الرجال في جرأة شاذة أو تكثر من الخروج من المنزل أو تعامل زوجها بنير ما يعامل به الأزواج في مصر. وهي تجد من حمايتها المعجوز نفورا يشبه المقاطعة لأن أم الزوج التي لا يسهل عليها أن تسامح تحس أن ابنتها قد انفصلت عن مجتمعه المصري بزواجه بهذه "الإفريقية" وهي تعتقد أن في هذا الزواج من العار ما يجلب عليها نقد الأقارب ويجعلها هي وابنتها في وحشة اجتماعية ترد أسبابها إلى هذه الزوجة.

ولعادة أن الزوج في مثل هذه الحالات يهتم إلى الانفصال عن أهله لكي يعيش مع زوجته بعيدا عن قوارص الكلمات التي تسمعها زوجته كل يوم تقريبا. ولكنه حين ينفصل من أسرته يجد نفسه أيضا قد انفصل عن مجتمعه. لأن شعور الكراهة أو النفور الذي وجدته نحو زوجته من أفراد أسرته سيجد مثله من السيدات في الأسر الأخرى. وعندئذ يرى بيته مهجورا إلا من الأجانب والأجنبيات الذين ينتمون إلى وطن زوجته. وليست هذه الحال مما يسر لها أي زوج أو ينتظر منها خيرا لنفسه أو لأبنائه. لأن الزوجة عندما تجد أنها هي وأولادها مبعدة عن الوسط المصري وحين تجد أن وسطها في القاهرة قد استحال إلى وسط أجنبي لا يلبث أن يؤثر عليها هذا التأثير تأثيرا نفسيا. وعندئذ هي التي تنقل زوجها إلى الوسط الأجنبي بدلا مما كان يأمله زوجها من نقلها إلى الوسط المصري. ثم تتلوه ذلك

جميع النتائج التي تترتب على هذا الانفصال الروحي والمادى من الوسط المصرى . فان الأطفال ينشأون — فى مصر — نشأة أجنبية لغة وعاطفة وثقافة . وليس لنا أن نستغرب هذه الحال . لأن هؤلاء قد نشأوا وهم يرون بيتا أوروبيا قد لا يكون فيه من المصريين غير الخادم ويرون أن الزائرين جميعهم من الأجانب فهم ينتفسون جوا أجنبيا يبعد بينهم وبين البيئة المصرية .

وتتفاقم هذه الحال إذا مات الأب . فإن الأم عندئذ لا تجد ما يربطها بمصر . فهي تعيش فى حى أجنبى ولا تبالى أية رقابة . فإذا كان زوجها قد أورثها مالا تعيش منه فالأغلب أنها تترك مصر وتعود بأولها إلى المدينة التي قدمت منها . وهناك ينسى الأطفال بيئتهم المصرية السابقة وينشأون نشأة أوروبية محضة . ويندثر ذكر الأب ، بل لا يكاد أبنائوه أنفسهم يذكرونه .

وبعض الشبان ينتحلون أعدارا لتبرير هذا الزواج بالأجنيات ، كأن يقول الشاب إنه قد عاش فى أوربا واختلط بالمجتمع الأوروبى وأخذ بأساليبه ، وهو لذلك يشق عليه أن يتزوج فتاة مصرية لا تبلغ درجته فى الحضارة أو الثقافة ولا تستطيع أن تراهله . وهذا القول من التعللات السخيفة ، لأن كل هذه الميزات قد أصبحت تتوافر فى المرأة المصرية بعد أن انتشرت المدارس وأقبلت الأسر على تعليم أبنائهم من الجنسين . وحتى عندما نفرض أن الفتاة الأوربية تمتاز بهذه الميزات المذكورة فإن اختلاف المجتمع المصرى من المجتمع الأوروبى يجعل هذه الميزات جميعها عقيمة . ويجعلها هى شقية بهذا المجتمع كما يضع زوجها فى مآزق متوالية يكره من أجلها حياته .

وبعد كل هذا لا يمكن الشاب المصرى أن يتخلص من عواطفه القومية والوطنية . وهى تحتم عليه أن يؤثر الفتاة المصرية على الفتاة الأجنبية حتى عند تخلفها عنها فى الرقى . فانه لا يستطيع أن يقف من هذه المسألة موقف المحايد أو ذيرالمبالى بخنار كما يلى عليه هواه أو عاطفته الوقتية . لأن الزواج واجب اجتماعى . أى واجب وطنى . والوطنية تمل علينا هنا إيثارة المصرى أو المصرية على غيرهما . وإذا كان مجتمعنا متخلفا فإن الواجب المحتوم على كل منا أن يرقيه ويصلحه . ولا يكون هذا الإصلاح بالهروب منه الى مجتمع آخر واتخاذ زوجة أجنبية ننشئ بها عائلة أجنبية وإنما يكون ببذل المجهود الدائب فى ترقية الفتاة المصرية حتى تصير زوجة صالحة فى عائلة سعيدة .